العلاج النسقي الاسري

مفاهيم العلاج النسقي الأسري: الأسس النظرية والتطبيقات العملية

أولاً: مقدمة عن العلاج النسقي الأسري

العلاج النسقي الأسري هو توجه في العلاج النفسي ينظر إلى الأسرة كوحدة متكاملة بدلاً من التركيز على الفرد بمعزل عن محيطه.

يقوم هذا الاتجاه على أن سلوك الفرد لا يمكن فهمه إلا في سياق العلاقات التي ينتمي إليها، وخاصة داخل أسرته.

ظهر هذا الاتجاه في خمسينيات القرن العشرين، متأثراً بتطور نظرية النظم العامة (General Systems Theory) التي وضعها لودفيغ فون برتالانفي، وبأعمال مدارس العلاج الأسري المبكرة مثل مدرسة بالو ألتو، وميلانو، و.MRI

ثانياً: المفاهيم الأساسية في العلاج النسقي الأسري

1.النسق(System)

النسق هو مجموعة من الأفراد والعلاقات المتبادلة بينهم، تؤثر كل منها في الأخرى.

الأسرة تُعد نظاماً مفتوحاً يتفاعل مع أنظمة أخرى (المدرسة، المجتمع، العمل.)

2.التغذية الراجعة(Feedback)

هي العملية التي يتم بها تصحيح أو تعزيز أنماط السلوك داخل النظام.

التغذية الراجعة السلبية تساعد على الاستقرار والتوازن.

التغذية الراجعة الإيجابية تدفع نحو التغيير والنمو.

3.التوازن(Homeostasis)

كل نظام يسعى للحفاظ على حالة من الاستقرار حتى وإن كان ذلك على حساب التكيف أو النمو.

مثلاً: قد تحافظ الأسرة على نمط تواصلي غير صحي لأنه مألوف ويمنح شعوراً بالأمان.

4.الحدود(Boundaries)

هي الخطوط النفسية التي تحدد درجة الانفتاح أو الانغلاق بين أفراد الأسرة.

حدود واضحة ومتوازنة تعني علاقات صحية.

حدود صلبة جداً تؤدي إلى الانعزال.

حدود هشة جداً تؤدي إلى التداخل والفوضى العاطفية.

5.الأدوار(Roles)

لكل فرد في الأسرة دور محدد يساهم في توازن النسق.

عندما تتداخل الأدوار (مثلاً: طفل يقوم بدور أحد الوالدين)، تظهر الاضطرابات الأسرية.

6.التحالفات والائتلافات(Alliances & Coalitions)

تشير إلى العلاقات الفرعية داخل الأسرة.

قد تنشأ تحالفات غير صحية (مثلاً بين أحد الوالدين وأحد الأبناء ضد الآخر.)

ثالثاً: المدارس والنماذج في العلاج النسقي الأسري

1.نموذج مينوشين(Structural Family Therapy)

ركّز سلفادور مينوشين على البنية التنظيمية للأسرة.

اهتم بتحليل الحدود، الأدوار، والتسلسل الهرمي داخلها.

هدف العلاج: إعادة هيكلة النسق الأسري ليصبح أكثر توازناً ومرونة.

2.نموذج بوين(Bowen Family Systems Theory)

يؤكد على تمايز الذات (Differentiation of Self) أي قدرة الفرد على الحفاظ على هويته ضمن الأسرة دون الذوبان فيها.

يدرس الأنماط العابرة للأجيال.(Transgenerational Patterns)

3. **نموذج الاتصالات (Communication Theory – Palo Alto Group)**

يركز على أن الاضطرابات النفسية هي اضطرابات في التواصل.

يستخدم التحليل المنطقي لأنماط الاتصال والرسائل المزدوجة داخل الأسرة.

4. **نموذج ميلانو (Milan Systemic Approach)**

يستخدم أساليب مثل الاستفهام الدائري (Circular Questioning) لفهم العلاقات بطريقة غير اتهامية.

يرى أن التغيير يحدث عندما يتغير إدراك الأسرة لأنماطها التفاعلية.

ثانيًا: روّاد النظرية النسقية وإسهاماتهم

الرائد	الإسهامات الأساسية
لودفيغ فون برتالانفي	مؤسس نظرية النُظم العامة، التي طبقت لاحقًا على علم النفس والأسرة.
غريغوري باتيسون (Gregory Bateson)	من رواد "مدرسة بالو ألتو"، درس الاتصال داخل الأسرة وابتكر مفهوم "التواصل لمزدوج" (Double Bind) لتفسير الفصام.
فيرجينيا ساتير (Virginia Satir)	ركّزت على التواصل الإنساني والمشاعر في العائلة، وأسّست العلاج الأسري لبنّاء الذي يهدف لتحسين التواصل والدفء الأسري.
سلفادور مينوشين (Salvador Minuchin)	مؤسس العلاج البنيوي الأسري (Structural Family Therapy)، الذي يدرس البنية والتنظيم داخل الأسرة (الأدوار، الحدود، التحالفات).
موراي بوين (Murray Bowen)	طوّر نظرية الأنظمة الأسرية (Bowen's Family Systems Theory) ركّز على التمايز العاطفي بين أفراد الأسرة وعلى الأجيال المتعاقبة.
جاي هالي (Jay Haley)	مؤسس العلاج الاستراتيجي الأسري (Strategic Family Therapy) ركّز على أنماط السيطرة والقوة والتأثير داخل الأسرة.
كارل ويتمان وكارل توم	من روّاد العلاج النسقي البنائي في أوروبا، واهتموا بكيفية تشكيل المعاني داخل الأنظمة الأسرية.

ثالثًا: المسلمات الأساسية للنظرية النسقية

1. الأسرة نظام متكامل

→ الأفراد مترابطون وظيفيًا، ولا يمكن فهم أحدهم بمعزل عن الآخرين.

2. التغير في أي جزء من النظام يؤثر في الكل

→ أي تعديل في سلوك أحد الأفراد يغيّر ديناميكية الأسرة بأكملها.

3. الترابط والتأثير المتبادل

→ العلاقات بين الأفراد ذات تأثير دائري (Circular Causality) وليست سببية خطية.

4. التوازن أو الاستتباب (Homeostasis)

→ الأسرة تسعى دائمًا للحفاظ على توازنها، حتى لو كان ذلك عبر أنماط غير صحية.

5. الأعراض وسيلة للتواصل

→ السلوك المضطرب (مثل سلوك الابن مثلاً) يُنظر إليه كـ "رسالة" تعبّر عن خلل في العلاقات وليس مجرد مرض داخلي.

6. التفاعلات أهم من المحتوى

→ المهم ليس ما يقال بل كيف يُقال وكيف يُستقبل داخل النظام.

رابعًا: مبادئ النظرية النسقية

المبدأ	الشرح
السببية الدائرية (Circular Causality)	السلوك لا يُفهم كسبب ونتيجة خطية، بل كدائرة من التفاعلات المتبادلة بين الأفراد.
الكلّية (Wholeness)	الأسرة أكثر من مجرد مجموع أعضائها، إنها كيان متكامل.
الاستتباب (Homeostasis)	الأنظمة تحافظ على توازنها الداخلي، حتى لو كان هذا التوازن مرضيًا.
التفاعل والتواصل	الاتصال بين الأفراد هو محور الصحة أو الاضطراب في النظام.
الأنماط عبر الأجيال	السلوكيات وأنماط التواصل تنتقل من جيل إلى آخر.

خامسًا: تفسير الاضطرابات النفسية حسب النظرية النسقية

- لا يُنظر إلى الاضطراب كخلل داخل الفرد، بل ك نتاج خلل في توازن النظام الأسري أو في أنماط التفاعل داخله.
- مثال:

ابن يعاني من القلق → يُفسَّر بأنه الوسيط أو "حامل العرض" (Identified Patient) الذي يعبّر عن توتر العلاقة بين الوالدين.

أو فتاة تعاني من اضطراب أكل → يُفسَّر كطريقة غير واعية للمحافظة على توازن السيطرة أو الاهتمام داخل العائلة.

- العَرَض إذًا هو وظيفة تواصلية:

قد يُستخدم لتخفيف الصراعات، أو لجذب الانتباه، أو للمحافظة على تماسك الأسرة.